دراسة نقدية لكتاب
طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحي

من إعداد الطالبين : إبراهيم حنانة / محمد ياسين دبش
تحت إشراف الأستاذ : إدريس ريمي

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
Université Echahid Hamma Lakhdar - El-Oued

1. التعريف بالمؤلف :

هو أبو عبد الله محمد بن سلاّم بن عبيد الله بن سالم الجمحى البصرى ، مولى قُدامة بن مظعون الجمحى بالولاء، ولد بالبصرة سنة 139 هجرية ، 756 ميلادية ، وتوفي في بغداد سنة 232 هجرية ، 748 ميلادية.وقد اشتهر بسعة علمه وصدق روايته.

وقد ذكرت ترجمة بن سلاّم في العديد من كتب التراجم منها :

محمد بن إسحاق النديم ، الفهرست ، ص 165 ، ط .دار المعرفة، بيروت 1987 . أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص 110 ط .جمعية إحياء مآثر علماءالعرب . جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط . مطبعة السعادة 1326 هـ . ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم الأدباء ، ج 18 ، ص 204، ط .دار الفكر العربي بيروت 1980 . كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ج 2 ، ص 152 ط .الثالثة ، دار المعارف ، مصر 1947

2. العصر الذي ألف فيه الكتاب :

العصر الذي ألف فيه الكتاب هو العصر العباسي، وهو عصر ازدهارالعلوم والآداب . فق نشأ في البصرة بيئة علماء العربية الأوائل وفحولها ، والتقى كثيراً من علماء اللغة والنحو ورواة الأدب والأخبار الثقات ، وسمع من شيوخ العلم والحديث والأدب وروى عنهم ، فحدث عن حماد بن سلمة ، ومبارك بن فضالة ، وزائدة بن أبى الرقاد ، وأبى عوانة ، والأصمعى ، وأبى عبيدة

3. الدراسة النقدية للكتاب :

1. عنوان الكتاب :

عنوان الكتاب طبقات فحول الشعراء، وقد ورد عند ابن النديم و ياقوت الحموي أنه يحمل عنوان " طبقات الشعراء " لكن الدكتور محمود شاكر يرجح طبقات فحول الشعراء لسببين : أنّ مضمون الكتاب يتحدث فقط على الفحول، و كذا ورود هذا العنوان في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، و إشارة المؤلف إلى ذلك في المقدمة.

والطبقة أصلها من ط ب ق قال ابن فارس في مقاييس اللغة " الطَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى وَضْعِ شَيْءٍ مَبْسُوطٍ عَلَى مِثْلِهِ حَتَّى يُغَطِّيَهُ . مِنْ ذَلِكَ الطَّبَقُ ... وَيُقَالُ :وَلَدَتِ الْغَنَمُ طِبْقًا وَطَبَقَةً، إِذَا وَلَدَ بَعْضُهَا بَعْدَ بَعْضٍ. وَالْقِيَاسُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَاحِدٌ[1].

فالطبقة إذن تعني زمرة أو جيل، وهي في التأليف عند الأدباء والنقاد كما عرفها أمجد الطرابلسي بقوله :« إن تأليف الطبقات في الأصل معناه تصنيف رجال علم أو فن، أو مذهب بحسب أزمانهم كل جيل في طبقة، منشأ هذا الاتجاه في تدوين التراجم هو العلم الحديث ورغبة أصحابه في تصنيف رواته على طبقات، حتى تعرف أزمانهم و أجيالهم، و بذلك يتهيأ للمحدثين دراسة الأساليب ونقدها وتبيين ما قد يكون فيها من خلل ثم انتقل تصنيف الطبقات من الحديث إلى العلوم الأخرى، فألفت الكتب العديدة في طبقات القراء والفقهاء والحكماء والأطباء و النحاة والشعراء ...إن هذا المصطلح قد يطلق أحيانا ويراد به تصنيف المترجم لهم في طبقات، لا بحسب أجيالهم وأزمانهم ولكن بحسب منازلهم وأقدارهم في الفن أو العلم الذي عرفوا به وهذا المعنى القيمي لا الزمني هو المقصود في كتاب ابن سلام »[2] وسيظهر تغلب المعنى القيمي على المعنى الزمني في تصنيف ابن سلام للشعراء عند كلامنا على أبواب الكتاب وفصوله.

- أما كلمة فحول فهي جمع مفرده فحل وهو في مقاييس اللغة يَدُلُّ عَلَى ذَكَارَةٍ وَقُوَّةٍ. مِنْ ذَلِكَ الْفَحْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ[3] ،وأول مؤلف استخدم هذه الكلمة لوصف الشعراء هو كتاب فحولة الشعراء وهو جوابات عبد الملك بن قريب الأصمعي على سؤالات أبي حاتم الساجستاني وفيه " قال أبو حاتم :قلت فما معنى الفحل؟ قال :يريد أن له مزيّةً على غيره، كمزيّة الفحل على الحِقلق.

قال :وبيت جرير يدلك على هذا: وابنُ اللبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يستَطِع صولَة البُزلِ القناعيسِ[4]

يعني أنه شبه الشاعر الفحل بالفحل من الإبل الذي اكتملت أسنانه وخبر الزم ان فلا تستطيع صولته صغار الإبل ، فكذلك الفحل من الشعراء الذي بلغ من الحذاقة بالشعر مبلغها فلا تستطيع مجاراته عامة الشعراء.

- وأما كلمة الشعراء فمعروفة.
- وفي حدود بحثنا لم نعثر على تشابه في العنوان مع مؤلفات أخرى والله تعالى أعلم.

---

1 مقاييس اللغة 3/440-441.

2 أمجد الطرابلسي ، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة و الأدب،ط5، 1986م، دار قرطبة لنشر، الدار البيضاء، المغرب. ، ص177 -178.

3 مقاييس اللغة 4/478.

4 الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت 216هـ) فحولة الشعراء، تح المستشرق ش. تورّي قدم لها: الدكتور صلاح الدين المنجد، ط2 ،1400هـ/1980م، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، ص 9.

2. تحقيق الكتاب وطبعاته:

طبع الكتاب لأول مرة في ليدن بألمانيا سنة 1913– 1916 ونشره يوسف هلّ، ثم طبع في مصر بمطبعة السعادة بعناية حامد عجلان الحديد الحلبي سنة 1920 معتمدا على طبعة ليدن الأولى، وله عدة طبعات أخرى من أجودها الطبعة الأخيرة بتحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر ـ رحمه الله ـ صدرت ضمن سلسلة ذخائر العرب سنة 1952 امتازت هذه الطبعة بالدقة والضبط والإتقان مع انطوائها على الكثير من التعليقات والفهارس القيمة.[1]

3. محتويات الكتاب:

يعتبر هذا السفر العظيم أقدم كتاب في النقد الأدبي يصل إلينا، قسم ابن سلام كتابه إلى قسمين كبيرين هما قسم أول وهو عبارة عن مقدمة وقسم ثان صنف فيه الشعراء إلى طبقات.

أ ـ المقدمة:

تناول فيها ابن سلام قضايا تتصل بالنقد الأدبي وتكلم عن تحقيق النصوص الشعرية وصحة نسبتها إلى أصحابها وتكلم عن انتحال الشعر وقال إن الشعر الصحيح هو المدون أو الشائع الرواية وذكر أسباب الانتحال ومنها اشتغال العرب بالفتوحات والجهاد ترك المجال للمنتحلين والوضاعين لكي يرووا ما بدا لهم، أيضا رغبة بعض القبائل في الافتخار عن غيرها مع عدم التحقق من بعض المدونين.

وبالجملة فقد امتدح الكثير من النقاد هذه المقدمة، قال أمجد الطرابلسي: « يمتاز هذا الكتاب بمقدمته الجليلة التي هي أقدم ما كتب في النقد الأدبي ، و قد ضمنها ابن سلام صفوة آرائه في النقد وما يحتاجه إليه صاحبه من ثقافة وخبرة في نشأة علم العربية، وفي أولية الشعر وما اعترى روايته من وضع و فساد على أيدي بعض الرواة الذين لا تتوفر فيهم شروط الأمانة العلمية»[2].

هذه المقدمة العزيزة تعكس ثقافة ابن سلام وتعكس واقع عصره وواقع النقد الأدبي فيه وهي تؤرخ لمرحلة مهمة في تاريخ التراث الأدبي عند العرب وهو مرحلة الانتقال من ثقافة المشافهة إلى ثقافة التدوين المصحوب البحث والتحري والتدقيق والنقد الأدبي في سلكير أعماله.[3]

---

1 عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ط3، 1973م، دن، بيروت، هامش الصفحة 239.
2 أمجد الطرابلسي، مرجع سابق ص 180، 181.
3 صورية سلطان، الطبقات الشعرية في ضوء الدراسات النقدية المعاصرة، رسالة ماجستير، في النقد والبلاغة العربية، قسم الادب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ، إشراف مصطفى درواش، تاريخ المناقشة 2012/02/23 ص 17.

ب ـ القسم الثاني:

صنف فيه الشعراء إلى طبقات متمايزة مراعيا عامل الزمان والمكان ، ثم الغرض الشعري أو الفن، فعامل الزمان تجلى في تصنيف ابن سلام الشعراء إلى الشعراء الجاهليين والشعراء الإسلاميين فهو جعل من ظهور الإسلام حدا فاصلا في تصنيف الشعراء [1]، وتجلى العامل المكاني ذكر شعراء القرى مثل مكة والطائف والمدينة والبحرين، وتجلى العامل الفني الموضوعي في ذكر شعراء المراثي وأخيرا ذكر ابن سلام بعض شعراء اليهود ولم يخضعهم لأي من معايير التصنيف السابقة ، وحاصل ما ذكره ابن سلام من الشعراء 114 شاعرا موزعين كالآتي:

1. طبقات الشعراء الجاهليين: وهي عشرة، في كل طبقة أربعة شعراء.
2. طبقات الشعراء الإسلاميين: وهي عشرة، في كل طبقة أربعة شعراء.
3. طبقة أصحاب المراثي : وتضم ثلاثة شعراء وشاعرة – الخنساء – وهي المرأة الوحيدة التي أوردها ابن سلام في طبقاته.
4. طبقة شعراء القرى العربية: وتنطوي على 22 شاعراً ، قسمهم ابن سلام على النحو التالي

أ – شعراء المدينة خمسة ، ثلاثة من الخزرج و اثنان من الأوس.

ب – شعراء مكة تسعة.

ج – شعراء الطائف خمسة.

د – شعراء البحرين ثلاثة.

هـ – طبقة شعراء اليهود وتشمل ثمانية شعراء.

وقد نبه ابن سلام على أن ذكره شاعر قبل قرنائه في الطبقة الواحدة لا يعني أنه الأعلى مكانة، المقَدم على باقي شعراء الطبقة، بل إن هذا الأمر لا يخضع لأي معيار نقدي، لأنه لا بد أن يبدأ بذكر أحدهم.[2]

وقد اعتمد ابن سلام في مفاضلته بين الشعراء وتصنيفهم في طبقات تبين مكانتهم الأدبية ومرتبتهم الشعرية على ثلاثة معايير عامة هي:

1. كثرة شعر الشاعر.
2. تعدد أغراضه.
3. جودة شعره.

فمقياس الكثرة مثلا يبدو جلياً في في تبرير تأخر منزلة طرفَة بن العبد وعبيد بن الأبرص وعلْقَمة بن عبدة وعدى بن زيد ، إلى الطبقة الرابعة ، إذ يقول:« وهم أربعة رهط فحولٌ شعراء ، موضعهم مع الأوائل ، وإنَّما أخلَّ بهم قلَّة شعرهم بأيدي الرواة».[1]

---

1 عمر الدقاق، مرجع سابق، ص 237.
2 طبقات فحول الشعراء1/50.

4. منهج المؤلف في عرض المادة:

امتاز الكتاب بمنهج دقيق محكم رغم تقدمه في فن النقد الأدبي عند العرب مع حسن التقسيم [2] حيث جعل كتابه على قسمين قسم تجلى في المقدمة الأدبية التي تناول فيها الكثير من القضايا النقدية ـ المشار إلها في سابق هذه الورقة البحثية ـ وقسم لتصنيف الشعراء إلى إسلاميين وجاهليين، وكان يحاول دائما إحداث نوع من التوازن بين طبقات الشعراء ، فكان يذكر ترتيب الطبقة ثم يذكر الشعراء فيها بترجمة مختصرة في الغالب، ويورد بعض أشعارهم ذاكرا أسانيده، ويتصدى بالنقد لبعض من الشعر مستندا إلى أقوال بعض العلماء الموثوقين مثل أبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب.[3]

5. نقد تقويمي للكتاب

أ . مزايا الكتاب ومحاسنه

1 . أسبقيته في مجال النقد الأدبي.

2 . كثرة قضايا النقد الأدبي التي عرضها.

3 . يمثل مرحلة مهمة من تاريخ التدوين عند العرب.

4 . حرص المؤلف على ذكر الأسانيد في روايته الشعر زيادة في التثبت الأمانة العلمية.

ب . مآخذ عن الكتاب

1 . تصنيفه الشعراء في طبقات قائم في كثير من الأحيان على معايير ذوقية غير معللة مثلا جعله عبيد الراعي في الطبقة الأولى للشعراء الإسلاميين مع جرير والفرزدق والأخطل وهو دونهم منزلة في الشعر4.

2 . قصر عدد الشعراء في كل طبقة على أربعة دون ذكر مبرر لذلك.

3 . لم يذكر أحدا من الشعراء المعاصرين له كابي نواس , وبشار، وأبي تمام، ومسلم بن الوليد وربما كان ذلك عملا بقاعدة المعاصرة تمنع المناصرة فلم يترجموا لمعاصريهم خشية من تغير أحوالهم وهي قاعدة عمل بها الكثير من المترجمين من بعد ابن سلام مثل الزركلي في الأعلام حيث لم يترجم لحي قط.

---

1 نفس المرجع 1-137.
2 عمر الدقاق، مرجع سابق، 236.
3 عبد الحميد حادوش، قراءة في كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي – المقاييس النقدية– مجلة أنهار الأدبيق على الرابط http://www.anhaar.com/ar/wp-content/uploads/2015/02/book7a_704644139.pdf

تاريخ الاطلاع عليه 2021/01/01 الساعة 23:28.
4 عمر الدقاق، مرجع سابق، 238.